فنـون اللغــة لإسحـاق أسيمـوف[1]

LANGUAGE ARTS – by Isaac Asimov

ترجمة مع التعليق

بوفاتح عبد العليم

جامعة الأغواط

هذه فكـــرة ، للكاتب إسحاق أسيموف ، تتصل بجوانب عديدة منها الجانب الفلسفي والجانب اللغوي والجانب الاجتماعـــي والجانب الثقافي، وغيرها.. وكلّ هذه الجوانب تلـــتقي في منعرجات معيّـــنة من هذه الفكرة ، على الرغم من أنّ الموضوع الرئيسي هو اللغة ..

فـــي هذا المقـــال يحاول الكاتب أن ينطلق من الواقع ، وذلك بـــجعْل التـــفاهم والتواصل ممـــكناً بيـــن كـــل الشرائح الاجتماعية ، بل بين كل البشر، مهما كانت أصولهم أو انتماءاتهم أو اعتقاداتـــهم أو طبائعهـــم أو مستوياتـــهم . ولكنّ هذا لا يتحقق – في رأيه – إلاّ بتـــوحيد لغة التخاطب بينهم. وذلك عبْر ما سمّاه هو: " لغـــة العالَـــم أو لغـــة الكـــون ."

وبعبـــارة أخرى نقـــول : إنّ الكاتب " أســـيموف " يطمح إلـــى الاتفـــاق على اللغـــة التـــي يستطـــيع أنْ يـــتفاهم بها كل البشر عبْر العـــالَم . وذلك بفرضها عليـــهم فـــي مخاطباتـــهم واتصالاتهم، على الرغم من اختلافـــاتـــهم العديـــدة التي تـــمـــيّزهـــم بعضهم من بعض – وهي اختلافات لا مجال إلـــى إنكارها بـــحال من الأحوال – فأنّـــى يكون ذلك ؟ وما مدى إمكانيـــة تحقيقه ؟ وماذا يحمل من الإيجابيات أو السلبيات ؟ هذا ما سنـــتبـــيّـــنه من خلال أفكاره التي سنعرضها مترجمـــةً في هذا المقـــال. ثـــمّ نُـــتْبعها ببعض التعليق والاستـــنتاج ..

ترجمـــــة المقـــال[2] :

((إنّ العالم في تقلّص منذ أمد طويل ، بحيث لا يوجد مكان على الأرض أبعد من مكان آخر إلاّ بمقدار ساعات معدودة بالطـــائرة السريعة ؛ أو بضعة أعشارٍ من الثانية بالمذياع والتلفاز .

وهذا يعني أنّ أيّ شخصـــيْن على وجه الأرض – أيّ شخصـــيْن أينما وُجِدا – يمكن أنْ يجـــدا نفســـيهما فـــي وقت واحد على اتصال فيمـــا بينهما . فأيّ لغة سيســـتعملان ؟

إذا كان عليْـــنا أنْ نـــأخذ شخصـــيْن في العـــالم بطريقة عشوائـــية فإنّ حظوظ التخاطب لديهما مـــاهـــي إلاّ إلـــزامهـــما باستعمـــال لغـــة الإشـــارات من أجل التفاهم .

إنّ أكثر الناس على الأرض – ربـــما أربعمائة وسبعون (470) مليوناً منهم – يتكلّمـــون اللغـــة الصيـــنية (المـــاندران) (Mandaran) [3] أكثر من أيّـــة لغـــة أخرى ، و أغلب كل هذه الملايـــين متـــمركز فـــي الصـــين ؛ فـــي حين أنهم لا يمثّـــلون سوى (11%) من سكان الأرض . وربما ليس أكثر مـــن ثلاثة أخمـــاس (5/3) سكان الصـــين .

واللغـــة التـــالية الأكثر عمومـــاً هي اللغة الإنجليـــزية التـــي يتكلمها ثلاثمائة وأربعون (340) مليون شخـــص تقريـــباً . وهذا يـــمثّل نسبـــة تزيد بقليل على (8%) من سكان الأرض . لكنـــها لغة واسعة الانـــتـــشار بفضل الامبراطورية البريطانية . فاللغة الإنجليزية مستعمَلة بنسبة حوالي (10%) من النـــاس أو أكـــثر ، وذلك فـــي اثـــنـــتيْن وثلاثـــين (32) دولةً مختلفـــة [4] . وفـــي كلّ الحالات بنسبة أكثر فـــي أوساط المتعلّـــمين والمنـــتمين إلى الميدان التكنولوجي فـــي تلك الدول .علْماً أنها ليست اللغـــة الأمّ .

إنّ اللغة الإنجليزية هي اللغة الأكثر عالمية وهي التي تناسب العلوم والأعمال والسياسات الدولية . وأكثر الظنّ – عندئذ – أنّه ما دام العالم شديد التلاحم بعضه ببعض بفعل تطور وسائل النقل والاتصال ، فإنّ اللغة الإنجليزية ستكون باستمرار أكثر هيمنةً وتحكماً وستصبح بحقٍّ هي اللغة الأكثر شمولية ، سواء أكانت اللغة الأولى أم الثانية لكل شخص على كوكب الأرض .

لكنّ ثمّةَ إشكالاً ! [5] فقد تحْدث ردود أفعال وطنية ضدّ الإنجليزية . ويظهر لملايير البشر أنّ متكلّمي اللغة الإنجليزية باعتبارها اللغة الأمّ، لهم أفضليات وامتيازات يتفوقون بها عن أولئك الذين يتكلمونها باعتبارها لغة متعلَّمة . ذلك أنّ الإرث الذي تحمله اللغة الإنجليزية في مجال الأدب والثقافة بصفة عامة يُلْقِي بالآخرين (أي أصحاب الآداب والثقافات باللغات الأخرى) في الظلّ ويغيّبهم .

إنه لمن السهل أن نتصور ثورة لغوية متمثلة في رفض التكلّم باللغة الإنجليزية عن طريق التظاهر بعدم فهمها . فهناك – على سبيل المثال – الكثير من الكَنَديين المتكلمين باللغة الفرنسية اليوم يشعرون بأنّ الأمر الوحيد الذي يدعوهم إلى الافتخار هو عدم فهمهم للإنجليزية .كما

قد تكون ثمّة حركات من أجل تقوية لغة القايلك Gaelic[6] ولغة الويلش Welsh [7] في أوساط الجزر البريطانية .

وهناك لغات أخرى تعاني من الثورات. فالهند تستعمل اللغة الإنجليزية باعتبارها لغةً رسميةً ، لأنه لا يُسمَح بهيمنة أيّة لغة من اللغات الهندية أو فرضها على المتكلّمين بغيرها من اللغات الهندية الأخرى .

وفي القوقاز قام الجيورجيون بمسيرات شعبية قليلة ضدّ سياسة السوفيات إذْ احتجّوا على محاولة جعْل اللغة الروسية لغةً رسميةً للجمهورية السوفياتية .

فما هو الاختيار إذاً ؟ المترجمون ؟ وبأيّة ترجمة يمكن أن نثق : بترجمة البشر أم بالترجمة الآلية ؟ وأيّة سهولة يمكن أن تكون في ارتكاب أخطاء صغيرة في الترجمة ؟ وماذا ستكون تكاليف هذه الأخطاء ؟ هل نستطيع أن نجد أيّ لغة أخرى شاملة ؟ من المؤكَّد أنّ أيّة لغة أخرى غير اللغة الإنجليزية ستؤدّي إلى احتجاجات كبيرة عالية عبْر العالَم .

هناك – بطبيعة الحال– لغات اصطناعية، وأكثرها رواجاً هي **لغة الإسبيرنتو** (Esperanto) [8] التي أُخترِعَتْ في سنة 1887. وهي لغة في غاية الحساسية كما أنها سهلة للتّعلُّم . لكنها في الأساس مستخلَصة من مزيج اللّغات الأوربية ذات الأصل اللاّتيني ، وهذا ما يمكن أن يزيد من كراهية وغضب غير الأوربيين إزاءها .

وزيادة على كون هذه اللغات لغات اصطناعية فإنها تفتقر إلى الحيوية. والحقيقة أنه ليس ثمّة إلاّ حوالي مائة ألف (100.000) متكلّم بلغة الإسبرنتو (Esperanto).أمّا اللغات الاصطناعية الأخرى فهي أقلّ نجاحاً .

وعلى هذا فالإشكال يمكن أن يتولّى العناية هو نفسه بنفسه ، بصفة حسنة ، وذلك بإيجاد الحلول على نطاق أصغر، ليرفعها ويقدّمها من غير أيّ تشويش هادف.

وفـــي دول حوض البحر الأبيض المتوســـط خلال أواخر العصور الوسطى عرفتْ **لغـــة الفرانـــكا** (Lingua-Franca) [9] (لغـــة الإفرنـــج ، أي : الأوربيـــين) تطورًا لتصبح مستعملة بيـــن تجـــار المنطقـــة ، وصارت تحتـــوي علـــى كلمـــات مهـــمّة لإقامـــة الحوار والاتصال فيما بينـــهم . وكانت عبارة عـــن خليـــط من الإيطاليـــة والفرنسيـــة والإسبانيـــة والإغريقيـــة والعربيـــة .

وكذلك الشأن فـــي آسيا الشرقية حيث ظهر خليط متنوع يسمّى English Pidgin[10] . وتـــمّ تطويـــره لكسر الحاجـــز اللغويّ فـــي الاتصـــال .

وبمـــا أنّ الاتصـــالات فـــي العالَـــم تتـــطور ، وبمـــا أنّهـــا ستـــزداد تصـــاعداً بيـــن كل النـــاس الذيـــن يتـــطلعون إلـــى التواصل فيمـــا بينـــهم – وليـــس فقـــط بيـــن المتعلّميـــن منهم ورجال الأعمال والعلماء – فـــإنّ : **Lingua Terra**[11] " **لغـــة الأرض** " ستعلو وتسود تدريجـــياً . والإنجليزيـــة سيكون لها فيـــها القسط الأوفر . نعـــمْ ! ولكن كلّ اللغـــات الأخرى ستُسْهم بإضافـــة مفردات ومصطلحات وقواعـــدَ لهذه اللغـــة .

ومع أنه قـــد ينتـــهي الأمـــر إلـــى مـــا يشبـــه البنـــاء المخـــيف بقـــواعدَ ذات محتويـــات تـــنعدم فيـــها – بصفة كلّية – العلامات الممـــيّزة لكلّ لغة من اللغات الوطنيـــة التي تكوّنـــها . فإنّ كل البشـــر مُـــلْزَمون بتعـــلُّـــم لغـــة الأرض هذه زيـــادة علـــى لغـــاتهم الأم . وليـــس للبعض منهم الأفضليـــة على البعض الآخر لمجـــرّد المصادفة فـــي كونه وُلِـــد فـــي هذا المكـــان أو ذاك . ولغـــة العـــالَم هذه يمكن أن تنـــتهي بـــمفردات ، بمرونـــة، وبثـــراء يفوق كلّ ما سواها ممّا قـــد يؤدّي إلـــى تطويـــر الآداب الخاصـــة بتلك اللغات .

وعلى هذا فقد تعمل هذه اللغة أكثر – انطلاقاً من وحدة كيانها واستقلاليتها – على توطيد العلاقات الإنسانية – بما يُـــغْـــني عن ملايـــين الوعود التي تـــتضمّنها

الخطابات المنتشرة بلغات مختلفة عبْر الزمن- من أجل لمّ شمل الإنسانية من أقصاها إلى أقصاها..

التعليق على المقال:

هذا مشروع (لغوي فلسفي) اقترحه الكاتب متمثّلاً في استعمال لغة واحدة عبْر العالَم كلّه ، بحيث يتخاطب بها جميع البشر؛ وهذه اللغة تكون مكوّنة من مختلف اللغات والألسنة . ولذلك اختار لها الكاتب تسمية : " **لغة العالَم أو لغة الكون** ".

وقد اعتقد الكاتب أن ما دعا إليه أمر ضروري للإنسانية ، فهل إلى سبيل من تحقيق هذا الحُلُم الذي راوده فدعا إلى تجسيده ؟ ونحن نعْلم أنّه ليس من اليسير على الفرد (المتعلّم) أن يتعلّم لغة أجنبية حقّ التعلُّم فكيف بالأمّيّ إذاً – ونسبة الأمّيّة في العالم مرتفعة إلى حدّ مخيف ؟- ثمّ هل يطمح الكاتب إلى محو آثار كلّ اللغات الأخرى والعبث بتاريخها وعراقتها ومكانتها وما لها من تأثير في نفوس أهلها والمتكلّمين بها ؟ وهل يمكن اعتبار انتشار التكنولوجيا وتطوّر وسائل التنقل والاتصال دافعاً لتوحيد لغة العالَم ؟ وهل يمكن التسليم بأنّ تحقيق التفاهم بين البشر مرهون باستعمالهم لغة واحدة ، بحجّة أنّ التواصل باستعمال لغات عديدة لا يحقق التفاهم الكلّي المنشود ، ولا يؤدي إلى التطور . وعليه ، فهذه اللغات ليست صالحة للاستعمال ؟ ونختم تساؤلاتنا قائلين : ما الذي يمكن أن نقرأه من وراء السطور في هذا المقال – ممّا لم يُصرَّح به – سواء أقصد الكاتب ذلك أم لم يقصده ؟

هذه التساؤلات التي أثرناها ، وغيرها .. نترك للقارئ الكريم أنْ يتصوّر لها إجابات ، على طريقة ما يسمّى بالنهايات المفتوحة في الفن القصصي.. لأننا لا نرى فكرة الكاتب هذه إلاّ ضرباً من القصص.. وإنّا لنراه

متـــأثراً بعلْم الخيال الذي يبدو أنه ملَكَ عقله وسيطر على تفكيره – مع أنه الم كيمياء – فتصوّر العـــالَم بلغة واحدة تذوب فيها كلّ النَّـــزعات الوطنية والمحلّيّة والقطرية، وتضمحلّ فيها ثقافـــات الشعوب بفسيـــفسائهـــا البديعة في مختلف أنماط الحياة ، ويُـــغـــيَّـــب ما تحمله اللغات الأخرى من الإرث المتراكم على مرّ السنـــين بل القرون المتعاقبـــة المتصلة الحلقات. لتحلّ محلّ ذلك كلّه ثقافـــة " **لغـــة الكون** " هذه التي أرادها الكاتب أن تسود بين سكان الأرض. بكلّ ما تحمله من متـــناقضات واختلافات مـــع ثقافات اللغات الأخرى..

ثـــمّ ألا يعـــني تعـــدّد اللغات تعدد أشكال الفكر وأساليـــبه – علْماً أنّ اللغة والفكْر تجمعهما علاقة حتميّـــة ، إذْ من خلال اللغة نعرف طبيعة الفكر الإنساني ، وهذا من سنـــن الله في خلقه . لقوله تعالى : " **ومن آياتـــه خلـــق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمـــين** ."[12] فقـــدّ أكّـــد للعالمـــين ثلاث مرات (بالتقديـــم وبـــإنّ وباللاّم) أنّ اختلاف الألسنة والألوان بين البشـــر من آيات الله في الكون ، وقرن ذلك بخلْق السموات والأرض . كما أنّ هذا الأمر (أي اختلاف الألسنـــة والألوان) جاء فـــي سيـــاقٍ تعـــدّد فيـــه ذكْـــر آيات الله باستعمـــال عبارة " **ومن آياته** " ستّ مرّات إلى جانب ذكْـــر آيات أخرى لم ترد فيهـــا هذه العبارة .. فماذا بعد هـــذا التقريـــر والتوكيد القرآنـــي من خالق البشر ومنـــتقي الألسنة لهم بـــمشيئتـــه وإرادتـــه ؟! ..

ومـــع أنّ محور فكـــرة صاحب المقال – كـــما هو ظاهر من كلامه – هو أنّ من الضروريّ تشكيلَ وبناءَ لغة عالمية (كونية) شاملة تتـــفادى كلّ النقائص والعوائـــق التي توجد فـــي اللغات الأخرى. وأن تكون هذه اللغة الكونية موجهة إلى كلّ البشر دون استـــثـــناء ولا تمييز.. وأن تكون مصوغة من كلّ اللغات ؛ فإنه سرعان ما يُقِـــرّ بأنّ الحظ الأوفر فيها يكون للإنجليزية، أمّا اللغات الأخرى فيمكن أنْ تُسْهم فيها

بالمفردات والمصطلحات والقواعد.. لكن دون تغليب أيّ طابع لغويّ على آخر من بين هذه اللغات..

وفي هذا الرأي نلاحظ أنّ الكاتب يريد أن يجمع بين الإنجليزية واللّغات الأخرى ؛ لكنّه في الوقت نفسه يغلّب الإنجليزية ويعطيها الحظ الأوفر من غير أن يسمح لبقية اللغات الأخرى بذلك**!**. وبعبارة أخرى نقول إنّ الكاتب يتصوّر أنّــه بالإمكان إنشاء لغة مبنية على قواعد جميع اللّغات، لكن حظّ كلّ هذه اللغات مجتمعةً ينبغي أنْ يكون – في نظره – أقلّ من حظّ اللغة الإنجليزية وحدها لأنها (أي الإنجليزية دون غيرها) لغة العلْم والتكنولوجيا والتطور **!**.

وهذا يعني عدم الاحتفال بكل اللغات الأخرى، حتى وإنْ كانت متداولة لدى شعوب كثيرة عبر العالَم، ولها ما يشهد على قِــَمها وعراقتها، كما هو الشأن بالنسبة للغة الصينيّة واللغة العربية ، وغيرهما ؟ **!** والذي يجدر بــنا أنْ نتوقّف عنده ههنا هو اعتقاد الكاتب أنّ العربية ما هي إلاّ جزء صغير من الفرنسية.. ولا شكّ أنّ حُكمه هذا كان انطلاقاً ممّا يوجد في الفرنسية من ألفاظ عربية.. وهذا قصور منه في الفهم إذ اعتبر الفرنسية أصلاً من خلال وجود ألفاظ عربية فيها. فلِــمَ لا تكون العربية هي الأصل بالنسبة إلى الفرنسية من خلال وجود ألفاظ فرنسية فيها؟ بل أيضاً بالنسبة إلى الإنجليزية لوجود ألفاظ إنجليزية فــي العربية. بل إنّ ذلك يمتدّ إلى لغات أخرى كذلك أخذتْ من العربية كثيراً.. ثمّ إنّ العربية أقدم وأعرق من هذه اللغات. وقد اكتملت العربية في الاستعمال قبل أنْ تنضج هذه اللغات وتــتّضح معالمها.. فكيف تكون إذاً جزءاً منها ؟ **!** ثمّ ألم تكن العربية في عصورها الزاهية لغة العلْم والتطور ؟ **بلى**. فإن كان إذاً من أصلية وفرعية فالعربية هي الأصل وما سواها الفرع..

ثمّ إنّ الكاتب إذْ يفضّل " **لغـــة الكـــون** " يتكلّم عن استقلالها في قواعدها، وعن وحدة كيانها، بعد أنْ يدعو إلى تشكيلها من كلّ اللغات الأخرى، وهذا تناقض منه في الفكرة ، فأنّى لها الاستقلال عندئذ ؟

ومحصول القـــول هو أنّ الكاتب إسحـــاق أسيـــموف بمقالـــه هذا يقوم بتســـويق فكرة ما اُصطُلِح على تسمـــيته **بالعولمـــة** . وهو يروّج ثقافـــياً – أو لنـــقُلْ لغويـــاً – لهذه الفكرة التي تبلورت لدى الغربيـــين فـــي أواسط القرن الماضي وهي تخفي معها " إيديولوجيـــة لثورة المعلومات وتكنولوجيـــا الاتصالات وتقنيـــات الإعلام المتطورة التي ربطت الكون بشبكات جعلتْ منـــه أشبه بقريـــة صغيرة ، أو – حسب تعبـــير وصف عالم الاجتماع الكَنَـــدي أستاذ الإعلاميات في جامعة تورنـــتو " **مارشال ماك لوهـــان** " – **بالقريـــة الكونيـــة** الذي أطلقه منذ وقت مبـــكّر فـــي كتابـــه الذي صـــدر فـــي نـــهاية الستينـــيات " **حرب وسلام فـــي القرية الكونـــية** ". وقد جاءت العولمة لكي تقدّم مضموناً واتجـــاهاً فكرياً لمفهوم **القريـــة الكونـــية** واستبـــدالاً له وتطويراً لفلسفته والغايات المرجوّة منه ..." [13]

فمصطلح (**القرية الكونية**) الذي ظهر في الستيـــنيات، وربما قبلها، مرادف إذاً لمصطلح (**العولمة**) ولا اختلاف في المفهوم، إنّما هناك تطوّر في الفكرة مع مرور الزمن وتطور المجتمعات .

ونحن نجد الكاتب يشيـــر إلى هذا المصطلح المرادف للعولمة ، عندما يستهلّ مقالتـــه بالكلام عن **التقـــلُّص المستـــمر للعالـــم** . كما نجده يشـــير إليه بعبارات أخرى فـــي مقالـــه. وعلى هذا ، فما دعوتـــه إلى استعمال **لغة عالميّـــة كونـــيّة** فـــي عالم أصبح كالقريـــة إلاّ محاولة لدفـــع هذه الفكرة من زاويـــة اللغة، باستعمال حجة العصر القوية ألا وهي التكنولوجيا التي هي سلاح الأقوياء ، وذريعـــة الاستعمار الحديث، وسبب انسياق الدول المغلوبة على أمرها إلى الدول الصناعية ..كما أنه قد سبقه إلى

مصطلح **اللغة العالمية** عدة كتّاب من المشاهير على رأسهم : **الطبيب اللغوي البولوني"ليزر لودفيك سامنهوف"** Leizyer Ludwik Zamenhof المتوفى في 1917 عندما ألّف كتاباً جعل عنوانه : " **الإسبرنتو** " (Esperanto) دعا فيه إلى **لغة عالمية** جديدة يتفاهم بها جميع سكان العالم، **يُلْغَى فيها الإعراب**، ويُعتمَد على ما هو مشترك بين اللغات. ولغة **الإسبرنتو** هذه تُدرّس اليوم في بعض الجامعات الأمريكية وقد كُتِبتْ بها روائع كثيرة.

وما تفضيل صاحب هذا المقال للّغة الإنجليزية ههنا إلاّ استدراج لإحكام فكرة السيطرة التي تكمن وراء العولمة .. وبهذا يكون الكاتب قد أفسد بقدر ما أراد أن يُصلح – عن قصد منه أو عن غير قصد – وضرَّ من حيث أراد ن ينفع .. ذلك أنّ ما يدعو إليه بدّ أن يكون على حساب قيم الشعوب ومقدساتها وتاريخها وتراثها ومبادئها ومقوماتها ومعانيها الساميّة. أو لِنقُلْ على حساب كيانها ووجودها.. وتلك هي العولمة في حقيقتها لا تأبه لكلّ هذا.. وليس أدلّ على ذلك ممّا نراه اليوم من رفض شعوب الغرب لها . تلك الشعوب التي تدرك هذه الحقيقة، وهي أقرب إلى فهمها، لقربها من آلات الشّحذ لأنياب الافتراس في سبيل تحقيق المآرب المادية . ذلك أنّ " الغرب الذي ابتكر مفهوم العولمة هو الذي حدّد لها مضامينها وهويتها ومكوناتها الفكرية والاقتصادية ، وهو الذي يقود حركتها في العالَم ويروّج لهذا المفهوم. " [14] وتلك هي النزعة المادية التي طغتْ في عصرنا.

وفي مقابل فكرة الكاتب نستحضر بقول الله تعالى : ﴿ **يأيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير** ﴾ [15] فقوله تعالى : لتعارفوا معناه ليعرف بعضكم بعضاً [16] وهذا التعارف يقتضي تميُّز الشعوب فيما يتعلّق بالعادات والتقاليد وغير ذلك من المواصفات الخاصّة بكلّ شعب وأمّة، ومنها اختلاف اللغات وما تحمله من أفكار وثقافات

وعلوم وموروثات وذلك أرقى أنواع التعارف. فإذا تميّز كلّ شعب بما يختص به أمكن للشعوب الأخرى أنْ تستفيد ممّا تميّز به فيزيدها ذلك معرفة جديدة، مع ما يتبعه من التقارب والإحسان وتبادل المنافع والتجارب في كل ميدان.. وهكذا الشأن مع الجميع. وهذا هو عيْن التعارف الذي يمكن أنْ يُفْهم من الآية الكريمة . إذْ ما الحكمة من التعارف بين أفراد الأمة الواحدة المتحدين في عاداتهم وأعرافهم ومزاياهم ولغاتهم وتفكيرهم، وما إلى ذلك.. هذا، وإنّ الشواهد على الحكمة من اختلاف البشر لكثيرة.

وعلى هذا نقول إنّ اختلاف اللغات بين البشر ليس خللاً ينبغي إصلاحه ولا قصوراً بشريّاً ينبغي تعديله وإتمامه كما يزعم صاحب المقال؛ وإنّما هو حكمة خالق الكون الذي يقول وقوله الحقّ : ﴿ **ولو شاء ربّك لجعل الناس أمّة واحدة ولا يزالون مختلفين إلاّ من رحم ربّك ولذلك خلقهم** ﴾ [17] وقد اعتبر بعض المفسرين بأنّ قوله:﴿ **ولذلك خلقهم** ﴾ يدلّ على أنّ الله خلق الناس لأجل الاختلاف. وتلك حكمة الله في خلقه. ولله في خلقه شؤون.

إنّ ما دعا إليه صاحب المقال لهو نموذج حيّ لما يساور الفكْر الغربي عموماً من نوبات القلق والتوجّس ممّا قد يؤول إليه العالَم إذا ما أفلت من قبضة المخططات الاستراتيجية الغربية، وخرج من النفق الغربي إلى فضاءات التنوّع الواسعة الرحبة، لأنّ في ذلك حياداً عن النهج الحضاري– كما يُريد **الأوصياء** للحضارة أن تكون– وهذه حقائق ثابتة وليست توقعات وحسب.. وواقع الأمر أنّ فكرة الكاتب هذه ظاهرها فيه خدمة البشرية وباطنها من قِبله إحكام السيطرة.. تلك هي حقائق نواياهم وإنْ صدق بعض كتّابهم في وصاياهم. وإنّ هذه النوايا لحاضرة في مختلف مجالات الفكر والعلم والمعرفة.

وإذا كان صاحب المقال قد روّج لهذا المفهوم بهذه الطريقة منذ سنوات عديدة لم نكن نسمع فيها بهذا المصطلح – وهو من أشهر الكتّاب والمفكّرين والعلماء

– محاولاً أنْ يعتمـــد على الواقع متمثّلاً فـــي التطور التكنولوجي الحاصل في ميدان الاتصال ، ليربطه بلغة التكنولوجـــيا الحالية، ألا وهي الإنجليزية .. إذا كان صاحب المقال هذا شأنه، فما هي حالنا نحن تُـــجاه أمّـــتنا ولغـــتنا التي لم تجد لها مكاناً ضمن مقال الكاتب إلاّ مجرّد إشارة عابرة منه إلى أنها تابعة للغات الإفرنج بسبب وجود ألفاظ منها ضمن هذه اللغات.. ؟! وما الذي ينـــتظره أهل العربيـــة لكي يُـــثْـــبتوا وجودهم الثقـــافيّ والفكريّ – على الأقلّ – وهم يملكون كـــلّ المؤهّـــلات للقيـــام بذلك، ولغتهم أطوع وأقـــدر ؟ تساؤل نناشد بـــه كلّ منصف خبَـــرَ العربيـــة وتغذّى بـــبيانها، لعلّه يقدّم لها شيئاً ممّا تســـتحقّ.

الهـــوامـــش :

1 ــ إسحـــاق أسيـــموف كاتب الأمريكي، و عالم في الكيمياء الطبيعية. ولد في " بيتروفيتش " بروسيا سنـــة : 1920. هاجر إلى أمريكا وأصبح أمريكيّ الجنسيـــة.. طـــرَقَ بقلمـــه موضوعات مختلفـــة إلى أن وافتـــه المنيـــة بمدينـــة نيويورك الأمريكيـــة . وكان ذلك فـــي سنـــة : 1992 .

مـــن أهـــمّ الأعمال التـــي أنجزهـــا إسحاق أسيمـــوف فـــي المجـــال العلْـــمي ، قـــاموس علـــميّ متنـــوع بعنـــوان : " **مصطـــلحات علمـــية** " **Words of science** تـــمّ طبعـــه ثلاث مرات فـــي سنوات : 1959 و 1972 و 1974 . وهو كتـــاب مهـــمّ قـــدّم فيـــه الكاتب تعريفـــا وافيـــاً بالكثير مـــن المصطلحات العلميـــة المتـــنوعة ..

وأمّـــا فـــي المجالات الأخرى فقـــد اشتهـــر إسحاق أسيمـــوف على الخصوص بقصصه فـــي علم الخيال ، ومنها : " **تأسيس الثلاثية** " التـــي بـــدأها فـــي أواخر الحرب العالمية الثانيـــة وكتبهـــا بيـــن : 1951 و1953 . وكذلك قصـــة : " **الحصـــى فـــي الفضـــاء** " التي كتبها فـــي سنة : 1951 . وقصة : " **الكهوف الفولاذيـــة** " التي كتبها سنة : 1954 . وقصة : " **الآلهـــة أنفسهم** " التي كتبها سنة : 1972 . وللكاتب أعمال أخرى علمية وفكرية وفلسفية متنوعة، منها هذا المقال الذي بين أيدينا بعنوان : " **فنون اللغة** ". وقد عمدنا إلى ترجمته لأهمّية القضية اللغوية التي يثيرها، وما لها من أبعاد.

2 ــ مصـــدر المقـــال المترجم :

* مجلّـــة : القراءة المـــركّزة :Reading in Focus ، مـــن إصـــدار : المؤسسة الإنجليزية لأهداف أكاديميـــة : 1988 .

English for Academy Purposes . 1988

* جمـــعَ مقالاتـــها : Lin Lougheed

* أُخِـــذَ المقـــال من القســـم الأول :Chapter One

3 - المـــاندران (Mandarin) هـــي لغـــة صيـــنيـــة واسعة الانـــتشار فـــي آسيـــا .

4 - هي دول الكومنولث ، وهو مجموعة دول ومقاطعات الإمبراطورية البريطانية ، أنشيء فـــي سنـــة 1931 ويتألّف من الدول المستقلّـــة والمحميات والمستعمرات التـــي تُـــقرّ برئاسة ملك إنجلتـــرا . ومنها من إفريقيا – مثلاً – زيمبابوي و نيجيريا وكينيا وأنغولا ... ومنها الهنـــد – مثلاً – من آسيـــا .

5 - هذا الأمـــر الذي يُـــقْلق هو ما سيـــأتـــي الكلام عنـــه من ردود الأفعال والثورات اللغويـــة .

6 - القايلك Gaelic هـــي لغـــة فـــي أسكتلـــندا .

7 - الويلـــش Welsh هـــي لغـــة بلاد الغـــال .

8– Esperanto : هي كلمة لاتينية بصيغة اسم الفاعل معناها : الآمِل . ومنها في الفرنسية الفعل : Espérer ومشتقاتـــه المعروفـــة . ولغة الإسبرنـــتو (Esperanto) هـــي لغة أوربّـــية تتكـــوّن من مزيـــجٍ مـــن اللغـــات ذات الأصـــل اللاّتيـــني .

9– لغـــة الافرنـــج (Lingua-Franca) هي لغـــة تتـــكوّن مـــن عـــدّة لغـــات وتصل حتّى البحر المتوسط ، لتضـــمّ العربيـــة باعتبار أنّ بعض كلماتهـــا من أصل عربـــي .

10– (Pidgin English) هي لغة إنجليزيـــة تدخل في تكوين بعض اللغات الآسيويـــة . وتُستعمَل لأهداف وغايات معينـــة كالمصالح التجارية والمنافع المتبادلة فـــي مجالات التعامل المختلفة . ولا يُشـــترَط فيها – عند الآسيويـــين – الالتزام بالقواعد والقوانـــين التي تحكم الإنجليـــزية . فالمهمّ لديهم هو التواصل بمـــا يحـــقق لـــهم تبادل المصالح فيما بينهم .

11– (Lingua Terra) أي : لغـــة العالَم أو لغـــة الكـــون ، وهـــي التي تَصـــوّرَ الكاتب أنـــها تـــوحّد العالَـــم لغـــويّـــاً ، وبـــها يتـــمّ تفـــادي عنـــاء الترجمـــة ومـــا تُـــوقِع فيـــه من أخطـــاء ومـــا ينجـــرّ عنـــها من تكاليـــف .

12سورة الرّوم : الآيـــة 22 .

13– الكلمـــة : مجلة فكرية ثقافية إسلامية تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث– لبنان – بيروت – العدد: 20 . 1998م . ص : 9 – 10 .

14– المرجـــع نفســـه . ص : 10 .

15– سورة الحجرات : الآية : 13.

16– ينظر : مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني : دار القلم بدمشق والدار الشامية ببيروت – ط/2 : 1997م . ص 561

17سورة هـــود : من الآيـــة : 118.